مجلة تدبر

البحث الثاني

# أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها

«دراسة تطبيقية على سورة مريم»

د. توفيق بن علي مراد زبادي

أستاذ مساعد وباحث في الدراسات القرآنية بمركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض

- حصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان بأطروحته: (منهج القرآن في مدح القلة وذم الكثرة ) .
- حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان بأطروحته:(الإصلاح و الإفساد في ضوء القرآن) .

النتاج العلمي:

المنهج البلاغي في تدبر القرآن، أثر التفسير الموضوعي في الارتقاء بالعلوم الطبيعية، الفوز والخسران في ضوء القرآن، إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية، نحو ختمة قرآنية تدبرية ارتقائية في الفكر والسلوك، تميز المؤمنين رؤية قرآنية، كيف تكون مباركًا أينما كنت؟

البريد الإلكتروني: towfeekali@hotmail.com

مجلة تدبر

## مستخلص البحث

**أهداف البحث :**

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما المقصود بمقصد السورة؟

٢- ما المراد من أفانين السورة القرآنية؟

٣- هل للقصص، وأسماء الله الحُسْنى، والفرائد القرآنية، والآيات الكونية، والسنن الإلهية، ومشاهد القيامة في السورة دلالة على مقصدها؟

**منهج البحث :**

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص، أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج التحليلي؛ وذلك بتحليل النصوص المستقراة.

**أهم النتائج :**

١- أن مقصد السورة هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها.

٢- توجد عدة طرق للكشف عن مقصد السورة أهمها: اسم السورة،

فضائل السورة، التأمل في أوائل السورة وأواخرها، إمعان النظر في الكلمات المكررة، النظرة الشاملة للسورة من أولها إلى أخرها.

٣- تتنوع أساليب السورة في دلالتها على المقصد والتي منها: القصص، وأسماء الله الحسنى، الفرائد القرآنية، والآيات الكونية، وسنن الله في الأنفس، ومشاهد القيامة، وغير ذلك مما تتميز به كل سورة.

## التوصيات :

**أوصي الباحثين:** بضرورة الاهتمام بالبحث بتوسع في أفانين السور القرآنية ودلالتها في تحقيق مقاصدها.

**الكلمات المفتاحية:** (أفانين- السورة - الدلالة- المقصد).

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، أما بعد:

فالقرآن الكريم كتاب جُعِلَت آياته محكمة النظم والتأليف، واضحة المعاني بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والإيواء مع حسن الرواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكًّا ولا تأويلًا، ولا تحتمل تغييرًا ولا تبديلًا، ثم جُعلت فصولًا متفرقة في سوره ببيان حقائق العقائد، والأحكام والحكم والمواعظ، وسائر ما أنزل الكتاب له من الفوائد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [هود: ١].

وتأتي آيات هذا الكتاب باختلاف أنواعها مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله.

وتأتي أساليبه مستجمعة درجات الفهم، وفيها الغاية -كل الغاية- لكل عقل صحيح، يقرؤها العالم؛ فيستشف من خلالها علل الأشياء، ويقرؤها الحكيم؛ فيلتمس منها أسرار الوجود، ويقرؤها غيرهما من الناس فتنقاد لها قلوبهم وعقولهم، لم يجعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوعًا واحدًا، بل وعدًا، ووعيدًا، ومحكمًا، ومتشابهًا، ونهيًا، وأمرًا، وأخبارًا، وأمثالًا، وقصصًا ومواعظَ؛ تناسب اختلاف طبائع الناس، ومستويات قُدراتِ الفهم لديهم، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعباده وتلطُّفه بهم؛ لتحبيبهم في أحكامه ودينه، وأن يشرح لهم الأمر من كل زواياه ومن كل أبعاده، حتى يُقبل الناس على دين الله عن ثقة واقتناع ورضا.

وفي هذا البحث سأتحدث عن **(أفانين السورة القرآنية في دلالتها على مقصدها)** بأساليب متنوعة لا يحول بينها وبين الولوج إلى العقول مانع، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء القرآن بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائلٌ، ولا يغادر مسلكًا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضًا أو تحذيرًا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه»[(١)].

## مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في إبراز أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٥/ ٤٠.

### ❁ أهداف البحث :

**تهدف الدراسة إلى الكشف عن أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:**

١. ما المقصود بمقصد السورة؟
٢. ما المراد من أفانين السورة القرآنية؟
٣. هل للقصص في السورة دلالة على مقصدها؟
٤. هل لأسماء الله الحُسْنى في السورة دلالة على مقصدها؟
٥. هل للفرائد القرآنية في السورة دلالة على مقصدها؟
٦. هل للآيات الكونية في السورة دلالة على مقصدها؟
٧. هل للسنن الإلهية في الأنفس في السورة دلالة على مقصدها؟
٨. هل لمشاهد القيامة في السورة دلالة على مقصدها؟

### ❁ أسباب اختيار الموضوع :

تحدث جمع من العلماء والباحثين عن الوحدة الموضوعية للسورة وكيف أن السورة تخدم موضوعًا رئيسًا، وإنْ تعدَّدت الموضوعات الفرعية فيها، لكنها مشدودة إلى موضوع واحد تأخذ آياته بعنق بعضها لتحقيق الموضوع الرئيس، ولم يتطرق أحدٌ لبيان تنوع أساليب السورة القرآنية في تحقيق مقصدها وتأكيده في صورة معجزة بصورة مستقلة، وإن وُجد له إشارات في كتب التفسير؛ لذلك عزمت مستعينًا بالله لإبراز هذا الموضوع.

### أهمية الموضوع :

١- خدمة كتاب الله الكريم.

٢- بيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيان معانيه.

٣- إبراز أساليب السورة القرآنية المتنوعة في بيان مقصدها.

### الدراسات السابقة :

تحدثت البحوث والدراسات عن أساليب القرآن الكريم على مستوى القرآن كله، وكيف تنوعت في الحديث عن موضوعاته، مثل: أساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية والتوحيد[١]، لكن لم يفرد بحث للحديث عن أساليب السورة القرآنية في بيان مقصدها -حسب علمي-.

لكن من الدراسات التي لها علاقة ببحثنا (علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم دراسة بلاغية نظرية تطبيقية)، للباحث: إبراهيم صلاح السيد الهدهد، وتحت إشراف الدكتور محمد جلال الشيخ الذهبي، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر في مصر، عام ١٩٩٣م، والرسالة تركز على علاقة المطالع بالمقاصد، لكن البحث الذي بين يدينا يركز على دلالة أساليب السورة على مقصدها، ولا شك أن الباحث سيُفيد من هذه الرسالة.

(١) راجع: المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله صـ١١٦ وما بعدها، الطبعة الثانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

**❁ منهج البحث :**

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

**أما المنهج الاستقرائي:** ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث.

**والمنهج التحليلي:** وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وكانت خطة البحث على النحو التالي:

**المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وهيكليته.

**المبحث الأول:** التعريف بمصطلحات البحث وأهم طرق الكشف عن مقصد السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المطلب الثاني: أهم الطرق العملية للكشف عن مقصد السورة.

**المبحث الثاني:** سورة مريم دراسة تطبيقية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: مقدمات عن السورة.

المطلب الثاني: طرق الكشف عن مقصد سورة مريم.

**المبحث الثالث**: أفانين سورة مريم في الدلالة على مقصدها، وفيه مطالب:

**المطلب الأول**: القصص ودلالتها على مقصد السورة.

**المطلب الثاني**: أسماء الله الحسنى ودلالتها على مقصد السورة.

**المطلب الثالث**: الفرائد ودلالتها على مقصد السورة.

**المطلب الرابع**: الآيات الكونية ودلالتها على مقصد السورة.

**المطلب الخامس**: سنة الله في ثواب المؤمنين وعاقبة المجرمين ودلالتها على مقصد السورة.

**المطلب السادس**: سنة الله في إمهال المجرمين ودلالتها على مقصد السورة.

**المطلب السابع**: مشاهد القيامة ودلالتها على مقصد السورة (كرامة المؤمنين وإهانة الكافرين).

**الخاتمة** وأهم النتائج والتوصيات.

# المبحث الأول:
# التعريف بمصطلحات البحث
# وأهم طرق الكشف عن مقصد السورة

## المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث:

### أفانين:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**فن**: الفاء والنون أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تَعْنِيَة، والآخر على ضرب من الضروب في الأشياء كلها.

**فالأول**: الفن، وهو التعنية والإطْراد الشديد. يقال: فنَنْتُه فنًّا، إذا أطردته وعنّيته.

**والآخر الأفانين**: أجناس الشيء وطرقه. ومنه الفنن، وهو الغصن، وجمعه أفنان[(١)].

والمعنى الثاني هو الـمُراد.

**وأفانين الكلام**: أساليبه وطُرقه وأجناسه[(٢)].

وأفانين القرآن الكريم هو أسلوبه وطريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

**السُّورَةُ**: المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهًا بها؛ لكونه محاطًا بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٤٣٥.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٣/ ١٧٤٦.

منزلة كمنازل القمر[١].

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن[٢].

**واصطلاحًا:** قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات»[٣].

**المقصد:** (قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء[٤].

والمعنى الأول هو المقصود.

**والقصد:** استقامة الطريق. قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ۝٩﴾ [سورة النحل الآية ٩]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[٥].

ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها[٦].

(١) مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ٤٣٤.
(٢) الكليات، للكفوي: ٤٩٤.
(٣) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، ص: ٤١.
(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٥/ ٩٥
(٥) لسان العرب، لابن منظور: ٣/ ٣٥٣.
(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر: ٣/ ١٨٢٠.

**ومقصد السورة:**

هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها[1].

ويمكن أن نضع تعريفًا ملخصًا لعنوان البحث فنقول:

أسلوب السورة وطريقتها التي انفردت بها في الدلالة على مقصدها الجامع لمعانيها ومضمونها.

## ۞ المطلب الثاني : أهم الطرق العملية للكشف عن مقصد السورة :

توصل العلماء المهتمون بالكشف عن مقاصد السور بعد تأمل عميق، وفهم دقيق، وتطبيق أنيق وطول نَفَس؛ إلى عدة طرق للكشف عن مقصد السورة، سوف نكتفي بذكر أهمها:

### ١ – معرفة فضائل السورة:

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وعلى قدر المقصود من كل سورة، تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها ويؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدل على فضلها كثرتها»[2].

**مثال تطبيقي:**

سورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة، أنهاها صاحب «الإتقان» إلى نيف وعشرين بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء من عهد السلف:

(١) علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن بن زبن المطيري: ٨.

(٢) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ٢١٠.

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسمًا؛ وذلك يدل على شرفها؛ فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى:

**أحدها**: فاتحة الكتاب.

**ثانيها**: فاتحة القرآن.

**وثالثها، ورابعها**: أم الكتاب وأم القرآن.

**خامسها**: القرآن العظيم، روى أحمد عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ: «**هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»(١)، وسُميت بذلك؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن.

**سادسها**: السبع المثاني.

**سابعها**: الوافية، كان سفيان بن عيينة يسميها به؛ لأنها وافية بما في القرآن من المعاني.

**ثامنها**: الكنز.

**تاسعها**: الكافية، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ولا يكفي عنها غيرها.

**عاشرها**: الأساس؛ لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه.

**حادي عشرها**: النور.

**ثاني عشرها وثالث عشرها**: سورة الحمد وسورة الشكر.

(١) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة، (٩٧٨٧)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٥٩ من طريق يزيد بن هارون وحده، بهذا الإسناد، وأخرجه الدارمي (٣٣٧٤).

**رابع عشرها وخامس عشرها:** سورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصرى.

**سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها:** الرقية والشفاء والشافية.

**تاسع عشرها:** سورة الصلاة؛ لتوقُّف الصلاة عليها.

**العشرون:** وقيل إن من أسمائها الصلاة أيضًا؛ لحديث أبي هريرة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»(١)، أي السورة؛ لأنها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه، وهذا الاسم العشرون.

**الحادي والعشرون:** سورة الدعاء، لاشتمالها عليه في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾.

**الثاني والعشرون:** سورة السؤال.

**الثالث والعشرون:** سورة تعليم المسألة؛ لأن فيها آداب السؤال؛ لأنها بُدئت بالثناء قبله.

**الرابع والعشرون:** سورة المناجاة؛ لأن العبد يناجي فيها ربه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥].

**الخامس والعشرون:** سورة التفويض؛ لاشتمالها عليه في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥] فهذا ما وقفت عليه من أسمائها(٢).

---

(١) رواه أحمد: مسند أبي هريرة، (٧٨٣٧)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير العلاء بن عبد الرحمن وأبي السائب، فهما من رجال مسلم.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/ ١٩١.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن، أو أم الكتاب»(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»(٢).

وسميت فاتحة؛ لأنها جُعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله، ويستفتح بها الصلاة.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحمدُ لِله رب العَالمين أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبعُ المثاني** »(٣).

## وجه تسميتها بأم الكتاب أو أم القرآن:

### ذكر العلماء لتسمية الفاتحة أم القرآن وجوهًا ثلاثة:

**أحدها**: أنها مبدؤه ومفتتحه، فكأنها أصله ومنشؤه، يعني أن افتتاحه الذي هو وجود أول أجزاء القرآن قد ظهر فيها، فجعلت كالأم للولد في أنها الأصل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/ ١٣١.

(٢) رواه مسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، (٨٠٦).

(٣) رواه أبو داود، باب: فاتحة الكتاب، (١٤٥٧)، قال الألباني صحيح، انظر: (صحيح أبي داود: ٥/ ١٩٨).

والمنشأ، فيكون أم القرآن تشبيهًا بالأم التي هي منشأ الولد لمشابهتها بالمنشأ من حيث ابتداء الظهور والوجود.

**الثاني:** أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ثناءً جامعًا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، والأوامر والنواهي من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ۝٧﴾ إلى آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها.

**الثالث:** أنها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والأحكام العملية؛ فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها، وإما أحكام يقصد منها العمل بها، فالعلوم كالتوحيد والصفات والنبوءات والمواعظ والأمثال والحكم والقصص، والأحكام إما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات، وإما عمل القلوب أي العقول، وهو تهذيب الأخلاق وآداب الشريعة، وكلها تشتمل عليها معاني الفاتحة[(١)].

ووجه الوصف بالمثاني أن تلك الآيات تثنى في كل ركعة؛ لأن معناه أنها تُضم إليها السورة في كل ركعة.

وقيل: لأنها تثنى في الصلاة، أي تكرر، فتكون التثنية بمعنى التكرير[(٢)].

**فمقصد السورة: توجه العباد لربهم بتحقيق كمال العبودية.**

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ١٣٤.

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٣٥.

### ٢- التأمل في اسم السورة:

يقول البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «. . . وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مُتَرجِم عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدالّ إجمالًا على تفصيل ما فيه»[١].

**مثال تطبيقي:**

عن ابنِ عَابِسٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**يَا ابْنَ عَابِسٍ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ **هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ**»[٢].

**فمقصد السورتين التعوذ بالله من الشرور.**

### ٣- إمعان النظر في أوائل السورة وأواخرها:

يقول أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقد تتبعت أوائل السور المطولة؛ فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد يَنْخرم منها شيء»[٣].

**مثال تطبيقي:**

**فمقصد سورة الشورى: حقيقة الوحي والرسالة المحمدية.**

---

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٩.

(٢) رواه أحمد: حديث عقبة بن عامر الجهني، (١٧٣٨٩)، قال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة، (١١٠٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ٢/ ٧٥٥.

ففي أولها تحدثت عن الوحي: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ﴾ [الشورى: ٣].

وفي أواخرها تحدثت عن الوحي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ [الشورى: ٥٢].

فاتفق الافتتاح مع الخاتمة، ودل ذلك على أن مقصد السورة « حقيقة الوحي والرسالة المحمدية».

### ٤- التأمل في الكلمات المكررة في السورة:

تكرار بعض الكلمات في السورة؛ دليل على أهمية هذه الكلمات في بيان مقصدها.

**مثال تطبيقي:**

**مقصد سورة مريم: شمول رحمة الله لعباده.**

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تكرر في هذه السورة -سورة مريم- صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعَّروا بإنكار هذا الوصف، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴾ [الفرقان: ٦٠]»[1].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٦٠

### ٥- النظرة الكلية للسورة، ومراعاة سياقها العام:

يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طريقة الكشف عن مقصد السورة: «اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها»(١).

ويقول الشيخ دِراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وملاك الأمر في ذلك أن تنظر إلى النظام المجموعي الذي وضعت عليه السورة كلها(٢).

**مثال تطبيقي:**

**مقصد سورة البقرة:** إعداد الأمة لحمل أمانة الخلافة في الأرض بعد نكول بني إسرائيل عن حملها.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ «هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطًا شديدًا. . فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى. . وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها،

(١) الموافقات، للشاطبي: ٣/ ٤١٥.

(٢) النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز: ١٩٦.

وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم.. وكل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسيين»[1].

**هذه أهم الوسائل العملية للكشف عن مقصد السورة.**

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/ ٢٨.

## المبحث الثاني :
## سورة مريم مقدمات وطرق الكشف عن مقصدها .

### ❁ تمهيد :

سورة مريم ذات ظلال، وأساليبها ذات أفنان، يرى المتدبرُ فيها حضورَ الرحمة في كثير من مشاهدها وأشخاصها الذين ذكروا فيها: ففيها ظهور رحمة الله في زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه برزقهما بيحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على حين حاجة، ورحمة الله في يحيى بإعطائه ما أعطاه من النعم، ورحمة الله مريمَ باصطفائها ورفع منزلتها وإبعادها عن قومها حتى ولدت، وتسهيل رزقها عند ولادتها، وإظهار براءة ساحتها، ورحمته في عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بجعله رسولًا له، والإنعام عليه بنعم عاجلة وآجلة، ورحمته بني إسرائيل بإرسال عيسى إليهم، ورحمته تعالى في بيان توحيده لعباده، وإنذارهم بلقائه حتى يستعدوا له، ورحمته إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بجعله صديقا نبيًّا، وإنجائه من كيد قومه، ورزقه بإسماعيل وإسحاق ويعقوب عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، والإنعام عليه بالذكر الحسن من الأمم، ورحمته موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بتصييره مخلَصا ورسولًا، وتأييده بأخيه هارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ورحمته هارون بجعله نبيًّا، ورحمته إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بجعله صادق الوعد ورسولًا، ورحمته إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بجعله صديقا نبيًّا ورفعه مكانًا عليًّا، ورحمته النبيين ومَنْ تلاهم في الذكر بالاجتباء والرفعة، وظهور رحمته بالتوبة على عباده، وإثابة صالحي عباده بالجنة وإنجائهم من النار، وزيادة المهتدين منهم هدى، وجعل المحبة والقبول لهم في قلوب عباده الصالحين. ورحمته عباده بإنزال

الوحي الذي يتضمن الخير الكثير لهم، ورحمته خلقه ببعثهم بعد موتهم؛ لينال كل عامل جزاء ما عمل، ورحمته في إمهاله العاصين وحلمه عليهم، ورحمته رسولَه محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بإنزال القرآن عليه، ورحمته صالحي عباده بإهلاك المكذبين للرسل عقوبة لهم، وإنجاء المؤمنين، وجعل ذلك عبرة للمعتبرين من بعدهم.

والمتأمل في السورة يكاد يجد أنها تفصيل وبيان لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦]، حيث فصَّل فيها رحمته بالمتقين وسادتهم من الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ورحمته بالصديقة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

وهذه السورة كانت رحمة على المهاجرين إلى الحبشة حيث كانت سببًا في عدم تسليمهم إلى وفد قريش بقيادة عمرو بن العاص، وبذلك نجوا من أذاهم، وكذلك كانت رحمة على النجاشي وقساوسته بأنها كانت سببًا في إسلامهم.

ومختصر القصة أنه لما قدم وفد قريش إلى النجاشي ملك الحبشة في طلب من هاجر إليها من المسلمين، ودار حوار بين جعفر بن أبي طالب الذي كان متحدثًا باسم المهاجرين وبين النجاشي والقساوسة وبين وفد قريش وكان المتحدث عنهم عمرو بن العاص، وكان مما دار في هذا الحوار مما رواه الإمام أحمد عن أم سلمة قالت: «. . . **فَقَالَ لَهُ -أي لجعفر بن أبي طالب- النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾** [مريم: ١]

**قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا**[1].

**فحقًّا** إن هذه السورة الكريمة سورة الرحمة؛ حيث تجلّت فيها وبها رحمة الله تعالى على عباده.

## المطلب الأول: مقدمات عن السورة:

### أسماء السورة:

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم، وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سماها سورة ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، وكذلك وقعت تسميتها في «صحيح البخاري» في كتاب التفسير.

وهي مكية عند الجمهور.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه.

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، تحقيق أحمد شاكر: ٢/ ٣٥٨، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، والحديث كله بطوله في مجمع الزوائد ٦: ٢٤ – ٢٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحق، وقد صرح بالسماع.

وعدت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعًا وتسعين. وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانًا وتسعين[1].

**فضائل السورة:**

**وردت فضائل هذه السورة ضمن فضائل زمرة من السور:**

١- منها: عن عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**»[2].

٢- ومنها: عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»[3].

**والمثاني:** كل سورة دون المئين، والمئين: كل سورة بلغت مائة آية فصاعدًا.

**من مقاصد السورة:**

«وَيَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ لِلرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ فِيمَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ الْقَوْلِ الشَّنِيعِ فِي مَرْيَمَ وَابْنِهَا، فَكَانَ فِيهَا بَيَانُ نَزَاهَةِ آلِ عِمْرَانَ وَقَدَاسَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٥٨.

(٢) رواه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، باب تأليف القرآن، (٤٩٩٤)، قوله: (العتاق): جمع عتيق وهو ما بلغ الغاية في الجودة يريد تفضيل هذه السور؛ لما يتضمن مفتتح كل منها أمرًا غريبًا، والأولية باعتبار حفظها أو نزولها. قوله: (تَلَادي): هو ما كان قديمًا. انظر: (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٢٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند: (١٦٩٨٢)، قال محققه: إسناده حسن، عمران بن القطان- وهو ابن داود- حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير أبي داود الطيالسي، فمن رجال مسلم، وأخرج له البخاري تعليقًا.

وَهَلْ يُثْبِتُ الْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ ثُمَّ التَّنْوِيهِ بِجَمْعٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ أَسْلَافِ هَؤُلَاءِ وَقَرَابَتِهِمْ.

**وَالْإِنْحَاءِ** عَلَى بَعْضِ خَلَفِهِمْ مِنْ ذُرِّيَّاتِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا عَلَى سُنَنِهِمْ فِي الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَتَوْا بِفَاحِشٍ مِنَ الْقَوْلِ إِذْ نَسَبُوا لِلَّهِ وَلَدًا، وَأَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُمُ الْبَعْثَ وَأَثْبَتَ النَّصَارَى وَلَدًا لِلَّهِ تَعَالَى.

**وَالتَّنْوِيهِ** بِشَأْنِ الْقُرْآنِ فِي تَبْشِيرِهِ وَنِذَارَتِهِ، وَأَنَّ اللهَ يَسَّرَهُ بِكَوْنِهِ عَرَبِيًّا لِيُسْرِ تِلْكَ اللُّغَةَ.

**وَالْإِنْذَارُ** مِمَّا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ من الاستيصال.

وَاشْتَمَلَتْ عَلَى كَرَامَةِ زَكَرِيَّاءَ إِذْ أَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ فَرَزَقَهُ وَلَدًا عَلَى الْكِبَرِ وَعُقْرِ امْرَأَتِهِ.

وَكَرَامَةُ مَرْيَمَ بِخَارِقِ الْعَادَةِ فِي حَمْلِهَا وَقَدَاسَةِ وَلَدِهَا، وَهُوَ إِرْهَاصٌ لِنُبُوءَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَمِثْلُهُ كَلَامُهُ فِي المهد.

والتنزيه بِإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَمُوسَى، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَوَصْفِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا.

وَحِكَايَةِ إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ الْبَعْثَ بِمَقَالَةِ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ وَالْعَاصِي بن وَائِل وتبجحهم عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَقَامِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ.

وَإِنْذَارِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ أَصْنَامَهُمُ الَّتِي اعْتَزُّوا بِهَا سَيَنْدَمُونَ عَلَى اتِّخَاذِهَا.

وَوَعْدِ الرَّسُولِ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِ.

وَذِكْرِ ضَرْبٍ مِنْ كُفْرِهِمْ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَالتَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ وَلِمِلَّتِهِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنَّهُ بَشِيرٌ لِأَوْلِيَائِهِ وَنَذِيرٌ بِهَلَاكِ مُعَانِدِيهِ كَمَا هَلَكَتْ قُرُونٌ قَبْلَهُمْ »(١) .

**مناسبة سورة مريم لسورة الكهف:**

لما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩]، ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجبًا وأخفى سببًا، فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهمًا ومتعجبًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨] فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين، وأنه يجعل ذلك آية للناس، وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة، فكان قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا، نحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية، وهو قصة زكريا في ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام، وقصة عيسى في كينونته بغير أب؛ ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها إلا بحسب سنة الله، وإنما الفعل له سبحانه لا بسبب، وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم: ٩]،

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٥٩-٦٠.

ثم أتبع سبحانه بشارة زكريا بيحيى بإتيانه الحكم صبيًّا، ثم بذكر مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام، وتعلقت الآي بعد إلى انقضاء السورة[١].

## المطلب الثاني : طرق الكشف عن مقصد سورة مريم[٢] :

تنوعت طرق الكشف عن مقصد سورة مريم ومن أهم هذه الطرق:

### الطريقة الأولى: معرفة فضائل السورة:

من فضائل السورة ما ورد عن عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي»[٣].

فسورة مريم من العتاق؛ لأنها تضمنت من المستغربات ما كان رحمة على من غشيتهم، ومن هذه المستغربات رحمة الله بزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه برزقهما بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع كبر سن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعقر زوجته، ورحمة الله مريمَ برزقها بالولد من غير أب، واصطفائها ورفع منزلتها.

### الطريقة الثانية: التأمل في اسم السورة:

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومقصودها: بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإضافة جميع النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر الغرناطي: ٢٥١.
(٢) تم التركيز على أهم الطرق من وجهة نظر الباحث.
(٣) رواه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، باب تأليف القرآن، (٤٩٩٤)، قوله: (العتاق): جمع عتيق وهو ما بلغ الغاية في الجودة يريد تفضيل هذه السور؛ لما يتضمن مفتتح كل منها أمرًا غريبًا، والأولية باعتبار حفظها أو نزولها. قوله: (تلادي): هو ما كان قديمًا. انظر: (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٢٣).

صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب، المستلزم لتمام العلم، الموجب للقدرة على البعث، . . . وعلى هذا دلت تسميتها بمريم؛ لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة، وشمول العلم[1].

**الطريقة الثالثة: إمعان النظر في أوائل السورة وأواخرها:**

حيث افتتحت سورة مريم برحمة الله لعبد من خُلَّص عباده وهو زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ [مريم: ٢]، وختمها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦ ﴾ [مريم: ٩٦]، وهذا سبيل أهل رحمته وثوابهم في الدنيا؛ حيث جعل لهم محبة في قلوب عباده.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقصود سورة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: شمول الرحمة. . . فبعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبدٍ من خُلَّص عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له وُدًّا»[2].

وأيضًا ختمها: بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧ ﴾ [مريم: ٩٧]، يسَّر ألفاظه ومعانيه؛ ليحصل المقصود منه والانتفاع به، وهذا من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برسوله والمؤمنين به، ومعلوم أن القرآن رحمة للمؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وخص المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون به.

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ٢/ ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٥٣.

وأيضًا ختمها: بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: ٩٨]، وهو مناسب لمفتتحها؛ حيث رحمتُه سبقت غضبَه، روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(١).

وأيضًا تطهير الأرض من المجرمين رحمة بأهل الأرض جميعًا.

## الطريقة الرابعة: التأمل في الكلمات المكررة في السورة:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تكرر في هذه السورة -سورة مريم- صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠]»(٢).

وقال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كرر الوصف بالرحمن -وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى- في أثناء السورة تكريرًا يلائم مقصودها، ويثبت قاعدتها وعمودها»(٣).

(١) رواه البخاري، كِتَاب التَّوْحِيدِ، باب قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصافات: ١٧١]، (٧٤٥٣).

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ٦٠.

(٣) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٥٣.

### الطريقة الخامسة: النظرة الكلية للسورة، ومراعاة سياقها العام:

المتأمل في سورة مريم يجد أن القصص هو مادة هذه السورة، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى، فقصة مريم ومولد عيسى، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه.. ثم تعقبها إشارات إلى النبيين: إسحاق ويعقوب، وموسى وهارون، وإسماعيل، وإدريس، وآدم ونوح. ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة، ويستهدف هذا القصص بيان مظاهر رحمة الله بأنبيائه وأوليائه، والأسباب التي نالوا بها رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## المبحث الثالث :
## أفانين سورة مريم في بيان مقصدها.

### تمهيد :

كل سورة لها أسلوبها الخاص في معالجة مقصدها، يقول البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من عرف المراد من اسم السورة؛ عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها»(١).

ويقول: «كل سورة لها مقصد معين، تكون جميع جمل تلك السورة دليلًا على ذلك المقصد»(٢).

ويقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعًا.. ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها، تبرز فيه ملامحها، وتتميز به شخصيتها. كالكائن الحي المميز السمات والملامح، وهو -مع هذا- واحد من جنسه على العموم! ونحن نرى في هذه السورة -نكاد نُحس- أنها كائن حي، يستهدف غرضًا معينًا، ويجهد له، ويتوخَّى تحقيقه بشتى الوسائل، والفقرات والآيات والكلمات في السورة، هي الوسائل التي تبلغ بها ما تريد!»(٣).

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٤٩.
(٢) المرجع السابق.
(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/ ٥٥٥.

ومن المعينات على كشف أفانين السورة القرآنية وطرقها في دلالتها على مقصدها: فهم معهود العرب وافتنانها في الأساليب: يقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما يعرف فضل القرآن مَن كَثُر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات»[1].

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأمّيين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عُرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمَّ عُرف، فلا يصح أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب»[2].

وبالتدبر في السورة من افتتاحها إلى خاتمتها نجد أنها تناولت أساليبَ متنوعةً في الدلالة على مقصدها، منها القصص؛ حيث يمثل القصص فيها ما يقرب من ثلثي السورة، وكذلك أسماء الله الحسنى الدالة على الإحسان والإفضال على العباد مثل (الرحمن)، و(الرب)، وكذلك الفرائد القرآنية، مثل: اشتعل ووفدا وغيرها، ومشاهد القيامة، وسنة الله في الذين أعرضوا عن الإيمان برسالته؛ فحرموا أنفسهم من رحمته الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

وسوف نتناول نماذج من هذه الأساليب في الصفحات التالية.

(١) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: ١٧.

(٢) الموافقات، للشاطبي: ٢/ ١٣١.

## المطلب الأول: القصص في سورة مريم ودلالتها على مقصد السورة:

يجيء القصص المختار في السورة بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق؛ ويجيء مادة لتربية النفوس.

### القصة الأولى: قصة زكريا ويحيى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

**تمهيد:**

الرحمة قوام هذه القصة، والرحمة تظلِّلُها، ومن ثَمَّ يتقدمها ذكر الرحمة: «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا»، إنه يناجي ربه بعيدًا عن عيون الناس، بعيدًا عن أسماعهم. في عزلة يُخلِص فيها لربه، ويكشف له عما يُثْقِلُ كاهلَه ويكرب صدرَه، ويناديه في قُرْبٍ واتصال، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطرة البشر، فيَستجِب لهم أن يدعوه وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم، ثم ترتسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى. . فالرب ينادي عبده من الملأ الأعلى: «يا زَكَرِيَّا»، ويعجل له البشرى: «إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ»، ويغمره بالعطف، فيختار له اسم الغلام الذي بشره به: «اسْمُهُ يَحْيى»، وهو اسم فَذٌّ غير مسبوق: «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا»؛ إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خُفْيَةٍ[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤/ ٢٣٠٢ باختصار.

خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ [مريم: ٢-١٥].

## التفسير الإجمالي:

هذا ذِكْرُ رحمةِ ربِّك بعبدِه زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، نقصُّه عليك للاعتبارِ به. إذ دعا ربَّه – سبحانه – دعاءً خفيًّا؛ ليكونَ أقربَ إلى الإجابة. قال: يا ربِّ، إني ضعُفتْ عظامي، وكثُر شيبُ رأسي، ولم أكن خائبًا في دعائي لك، بل كلما دعوتُك أجبتَني. وإني خفتُ قرابتي ألا يقوموا بعد موتي بحقِّ الدين لانشغالِهم بالدنيا، وكانتِ امرأتي عقيمًا لا تلدُ، فأعطني من عندك ولدًا مُعِينًا. يرث النبوّةَ عني، ويرثها من آلِ يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وصيِّرْه ربِّ مرضيًّا في دينه وخلقه وعلمه. فاستجاب اللهُ دعاءَه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرُك بما يسرُّك، فقد أجبْنا دعاءَك، وأعطيناك غلامًا اسمُه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسمَ. قال زكريا متعجِّبًا من قدرة الله: كيف يولد لي ولدٌ وامرأتي عاقرٌ لا تلدُ، وقد بلغتُ نهايةَ العمر من الكبرِ وضَعْفِ العظام؟!

قال المَلَكُ: الأمرُ كما قلتَ من أنّ امرأتَك عاقرٌ، وأنك قد بلغتَ نهايةَ العمر من الكِبَر وضعف العظام، لكنْ ربُّك قال: خلْقُ ربِّك ليحيى من أمٍّ عاقر،

ومن أبٍ بلغَ نهايةَ العمر سهْلٌ، وقد خلقتُك يا زكريا. من قبل ذلك، ولم تكنْ شيئًا يذكر؛ لأنك كنتَ عَدَمًا. قال زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا ربِّ، اجعل لي علامةً أطمئنُّ بها تدلُّ على حصولِ ما بشّرْتني به الملائكةُ، قال: علامتُك على حصولِ ما بُشِّرْتَ به ألا تستطيعَ كلامَ الناس ثلاثَ ليالٍ من غيرِ عِلَّة، بل أنت صحيحٌ مُعافًى. فخرج زكريا على قومِه من مُصَلَّاه، فأشار إليهم من غيرِ كلام: أن سبِّحوا اللهَ -سبحانه- أولَ النهار وآخرَه. فولد له يحيى، فلما بلغ سنًّا يُخاطَبُ فيها، قلنا له: يا يحيى، خذِ التوراةَ بجدٍّ واجتهاد، وأعطيناه الفهمَ والعلمَ والجِدَّ والعزمَ وهو في سنِّ الصبا.

ورحمناه رحمةً من عندنا، وطهَّرْناه من الذنوب، وكان تقيًّا يأتمرُ بأوامرِ الله، ويجتنب نواهيَه. وكان برًّا بوالدَيه، لطيفًا بهما، محسنًا إليهما، ولم يكن متكبِّرًا عن طاعةِ ربه ولا طاعتِهما، ولا عاصيًا لربِّه أو لوالدَيه.

وسلامٌ عليه من الله، وأمانٌ له منه يوم وُلد، ويوم يموتُ ويخرجُ من هذه الحياة، ويوم يُبعَث حيًّا يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثةُ هي أوحشُ ما يمرُّ به الإنسان، فإذا أمنَ فيها فلا خوفَ عليه فيما عداها(١).

## الأسباب الجالبة للرحمة في القصة:

١- **العبادة**: على قدر عبودية العبد تكون رحمة الله به، فالعبودية طريق الرحمة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾.

٢- **الدعاء**: كان دعاء زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خفيًّا ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾؛ لأنه رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أن الله يجيب دعوته؛ لئلا تكون استجابته مما يتحدث به الناس؛ فاختار لدعائه السلامة من مخالطة الرياء.

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم، لمركز تفسير: ٣٠٥-٣٠٦.

٣- التوسل:

- توسَّل إلى الله - تعالى - بضعفه وعجزه (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)، وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته؛ وهذه الحال من الضعف والعجز أحق بالاسترحام لحاله.

- توسَّل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)، فسأل الذي أحسن سابقًا، أن يتمم إحسانه لاحقًا[١].

٤- المداومة على ذكر الله، أمر الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ بألا يترك الذكر في نفسه مع اعتقال لسانه (قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا)، قال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو رُخِّصَ لأحد في ترك الذكر لرُخِّصَ لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما حُبِسَ لسانه عن كلام الناس»[٢].

٥- التقوى: قال في حق يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَكَانَ تَقِيًّا)، ويوجد تلازم بين الرحمة والتقوى؛ حيث إن الرحمة تفيض على أهل التقوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

مظاهر رحمة الله في القصة:

١- الولد الصالح: من رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدًا صالحًا، جامعًا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم؛ فرحم الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ واستجاب دعوته،

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير القرطبي: ٤/ ٨٢.

وسمّاه الله له «يحيى» **(يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى)**، وكان اسمًا موافقًا لمسمّاه: يحيا حياة حِسِّيَّة، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنويَّة، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعِلْم والدين.

**٢- تحقيق عين اليقين بعد عِلْم اليقين**: لما طلب زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ زيادة العِلْم (قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً)، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين؛ أجابه الله إلى طلبه رحمة به.

**٣- التوفيق إلى معرفة أحكام الله والحكم بها**؛ حيث أنعم الله على يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ وآتاه معرفة أحكام الله، والحكم بها وهو في حال صغره وصباه (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا).

**٤- تيسير الأمور وصلاح الأحوال**: أعطى الله يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله، (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا).

**٥- التوفيق إلى الإحسان إلى الوالدين قولا وفِعْلا**: لم يكن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ عاقًّا، ولا مسيئًا إلى أبويه، بل كان محسنًا إليهما بالقول والفعل؛ (بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا).

**٦- العناية بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أوحش ما يمر به الإنسان**: عناية الله بيحيى في الأطوار الثلاثة: طور الورود على الدنيا، وطور الارتحال عنها، وطور الورود على الآخرة، (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا).

٧- **التوفيق إلى الجمع بين حقوق الله وحقوق العباد**: لم يكن يحي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متجبرًا متكبرًا على عبادة الله، ولا متكبرًا على والديه، بل كان متواضعًا، متذللًا مطيعًا، أوَّابًا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه.

## القصة الثانية: ميلاد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

### تمهيد:

هذه القصة تبرز قدرة الله التي تقول للشيء كن فيكون، تبرز أن كل شيء هيِّن عليه، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره، والله أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته، ورحمة لبني إسرائيل أولًا وللبشرية جميعًا، بإبراز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضاه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦
فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا
زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ
كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا
مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ
إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن
تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ
رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ
لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ

لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[مريم: ١٦-٤٠].

## التفسير الإجمالي:

واذكر أيها الرسول في القرآنِ المنزَّلِ عليك خبرَ مريمَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ إذ تنحّتْ عن أهلِها، وانفردتْ بمكانٍ على جهة الشرق منهم؛ فاتخذتْ لنفسِها من دون قومِها ساترًا يسترُها؛ حتى لا يروها حالَ عبادتِها لربِّها، فبعثْنا إليها جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتمثلَ لها في صورةِ إنسانٍ سَوِيِّ الخلقة، فظنّتْ أنه يريدُها بسوء، فلما رأتْه في صورةِ إنسانٍ سَوِيِّ الخَلْقِ يتّجه إليها قالت: إني أستجيرُ بالرحمنِ منك أن ينالَني منك سوءٌ يا هذا إن كنتَ تقيًّا تخافُ الله. قال جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنا لستُ بشرًا، إنما أنا رسولٌ من ربِّكِ، أرسلَني إليكِ لأهبَ لك ولدًا طيّبًا طاهرًا. قالتْ مريمُ متعجِّبة: كيف يكون لي ولدٌ ولم يَقربْني زوجٌ ولا غيرُه، ولستُ زانيةً حتى يكونَ لي ولدٌ؟! قال لها جبريلُ: الأمرُ كما ذكرتِ من أنك

لم يمسسْكِ زوجٌ ولا غيرُه، ولم تكوني زانيةً، لكنّ ربَّكِ -سبحانه- قال: خَلْقُ ولدٍ من غيرِ أبٍ سهلٌ عليّ، وليكونَ الولدُ الموهوبُ لك علامةً للناس على قدرةِ الله، ورحمةً منا بهم لما ينالونه بسببه من الخير، وكان خَلْقُ ولدِك هذا قضاءً من الله مقدّرًا، مكتوبًا في اللوحِ المحفوظ. فحملتْ به بعد نفخِ الملك، فتنحّتْ به إلى مكانٍ بعيدٍ عن الناس. فضربَها المخاضُ، وألجأَها إلى ساقِ نخلةٍ، قالتْ مريمُ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: يا ليتَني متُّ قبل هذا اليوم، وكنتُ شيئًا لا يُذْكَر؛ حتى لا يُظَنَّ بي السوءُ. فناداها جبريلُ من أسفلِ الوادي بقولِه: لا تحزَني، قد جعل ربُّك تحتك جدولَ ماءٍ تشربين منه. وأمسكي بجذعِ النخلةِ وهُزّيه تُساقطْ عليك رطبًا طريًّا جُنيًّا من ساعته. فكلي من الرُّطَب، واشربي من الماء، وطيبي نفسًا بمولودِكِ ولا تحزَني، فإن رأيتِ من الناس أحدًا، فسألَكِ عن خبرِ المولود؛ فقولي له: إني أوجبتُ على نفسي لربي صمتًا عن الكلام، فلن أكلِّمَ اليومَ أحدًا من الناس. فجاءتْ مريمُ بابنِها إلى قومِها تحملُه، قال لها قومُها مستنكرين: يا مريمُ، لقد جئتِ أمرًا عظيمًا مُفترًى؛ حيث جئتِ بولدٍ من غير أب.

يا شبيهةَ هارونَ في العبادة -وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ- ما كان أبوك زانيًا، ولا كانتْ أمُّك زانيةً، فأنتِ من بيتٍ طاهرٍ معروفٍ بالصلاح، فكيف تأتين بولدٍ من غير أب؟!فأشارت إلى ابنِها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو في المهدِ، فقال لها قومُها متعجِّبين: كيف نكلّمُ صبيًّا وهو في المهد؟! قال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إني عبدُ الله، أعطاني الإنجيلَ، وجعلني نبيًّا من أنبيائِه. وجعلني كثيرَ النفعِ للعباد أينما كنتُ، وأمرَني بأداءِ الصلاةِ وإعطاءِ الزكاةِ طيلةَ حياتي. وجعلني برًّا بأمّي، ولم يجعلْني متكبِّرًا عن طاعةِ ربي، ولا عاصيًا له. والأمانُ من الشيطانِ وأعوانِه عليّ يومَ

ميلادِي ويومَ موتي ويومَ بَعْثي حيًّا يومَ القيامة، فلم يتخبّطْني الشيطانُ في هذه المواقفِ الثلاثةِ المُوحِشة. ذلك الموصوفُ بتلك الصفاتِ هو عيسى ابنُ مريم، وهذا الكلامُ هو قولُ الحقِّ فيه، لا ما يقوله الضالّون الذين يشكّون في أمرِه ويختلفون. ما ينبغي للهِ أن يتخذَ من ولدٍ، تقدَّس عن ذلك وتنزّهَ، إذا أراد أمرًا، فإنما يَكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كنْ)، فيكونُ لا محالة، فمن كان كذلك فهو مُنَزَّهٌ عن الولد. وإنّ اللهَ -سبحانه- هو ربي وهو ربُّكم جميعًا، فأخلِصوا له العبادةَ وحده، هذا الذي ذكرتُ لكم هو الطريقُ المستقيمُ الموصلُ إلى مرضاةِ الله. فاختلفت طوائفُ اليهودِ والنصارى في شأنِ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال عنه اليهودُ: هو ساحرٌ، وقال عنه بعضُ النصارى: هو ابنُ الله، فويلٌ للمختلفين في شأنه من شهودِ يومَ القيامة العظيمَ بما فيه من مشاهدَ وحسابٍ وعقاب. ما أقبحَ ما يسمعون ويُبصرون يومَ القيامة، وما أشدَّه عليهم، وما أعجبَ ما ترى من أحوالهم، لكنِ الظالمون في الحياةِ الدنيا في ضلالٍ واضحٍ عن الصراط المستقيم، فلا يستعدّون للآخرةِ حتى تأتيَهم بغتةً وهم على ظلمهم. وأنذر أيها الرسولُ الناسَ يوم الندامة حين يندمُ المسيءُ على إساءتِه، والمحسنُ على عدمِ استكثارِه من الطاعة، إذ طُويتْ صحفُ العباد، وفُرِغ من حسابِهم، وصار كلٌّ إلى ما قدَّم، وهم في حياتهم الدنيا مُغْتَرُّون بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يصدِّقون بيوم القيامة. إنا نحن الباقون بعد فناءِ الخلائق، نرثُ الأرضَ، ونرث من عليها لفنائِهم وبقائنا بعدهم، ومُلْكِنا لهم، وتصرُّفِنا فيهم بما نشاءُ، وإلينا وحدنا يُرجَعون يوم القيامة للحساب والجزاء[1].

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٦ – ٣٠٨.

### الأسباب الجالبة لرحمة الله في القصة:

١- **العبادة؛** اتخذت مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ الحجاب؛ لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتَقْنُت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

٢- **الاعتصام بربها والاستعاذة به؛** فقالت له: {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ} أي ألتجئ به وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء {إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} أي إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه؛ فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفَّة والبعد عن الشر وأسبابه، وهذه العفة -خصوصًا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع- من أفضل الأعمال؛ ولذلك أثنى الله عليها، فقال: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} [التحريم: ١٢]، {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٩١].

٣- **الاستسلام والإذعان لأمر الله تعالى** بعد أن أخبرها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قضاء الله وقد أُبْرِم، **(وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)**.

٤- **الأخذ بالأسباب؛** لما قال الله لها: **(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ)**؛ فأذعنت ونفَّذَت.

٥- **التوسل بعفتها وطهارتها**؛ قالت: **(أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)**.

**مظاهر رحمة الله في القصة:**

١) **الذكر الحسن**: **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ)**، من أعظم فضائل مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء؛ جزاءً لعملها الفاضل، وسعيها الكامل؛ ليقتدي بها المؤمنون والمؤمنات على مدار التاريخ.

٢) **إرشادها إلى النخلة**؛ ليُطعِمَها منها الرطب الذي هو مَنْفَعَة للنفساء؛ فكانت رحمة بها وكرامة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: **(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ)**.

٣) **الإعانة على الصبر والصدق**: حيث أعان الله مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ على الصبر والصدق في تلقي البلوى التي ابتلاها تعالى؛ ولذلك كانت في مقام الصديقية.

٤) **تأيدها بالمعجزات**: **(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)**، لم تقع التسلية بالرطب والسري من حيث أنهما طعام وشراب، ولكن من حيث أنهما معجزتان تُرِيان الناس أنها من أهل العصمة والبعد عن الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أمورًا إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا.

٥) **أمرها الله بأن تنذر الصوم**: **(فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)**؛ لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين، أحدهما:

أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم. وفيه أن السكوت عن السفيه واجب.

**٦) بشارة مريم العظيمة بالولد وزكائه (لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)**، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة.

**٧) قوله تعالى: (وَرَحْمَةً مِنَّا)، أما رحمة الله بعيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لما خصَّه الله بوحيه ومَنَّ عليه بما مَنَّ به على أولي العزم؛ وأما رحمته بوالدته؛ فلِما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة، وأما رحمته بالناس؛ فإن أكبر نعمه عليهم أن بعث فيهم رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؛ فيؤمنون به ويطيعونه وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة.

**٨) البركة التي جعلها الله في عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وهي: تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه.

**٩) من فضل الله وكرمه على عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن حصلت له السلامة يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه، من الشر والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار الفجار، وأنه من أهل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبدُ الله حقًّا.

**١٠) من مظاهر الرحمة في عيسى**؛ أن الله أرسله برحمة لبني إسرائيل؛ ليُحل لهم بعض الذي حُرِّمَ عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيروا من دينهم، فهذه أعظم بركة تقارنه. ومن بركته أن جعل الله حلوله في المكان سببًا لخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها

وتوفيقهم إلى الخير، ولذلك كان إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون؛ انقلبوا صالحين، وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة، ولذلك ترى أكثر الحواريين كانوا من عامة الأمِّيِّين من صيادين وعشارين، فصاروا دعاة هدى، وفاضت ألسنتهم بالحكمة، وهو حيثما حلّ تحل معه البركة.

**١١) خصَّ الله تعالى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبر، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾**؛ لأن بر الوالدين كان ضعيفًا في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة؛ لأنها تستضعف، لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرِّئان الولد على التساهل في البر بها.

**١٢) قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ إلى آخره**؛ تنويه بكرامته عند الله، أجراه على لسانه؛ ليعلموا أنه بمحل العناية من ربه.

**١٣) مراعاة رحمة الله بالناس إذا تعارضت مع المصالح الخاصة**، ففي قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ توجيه بأن ما اشتكَتْهُ من توقع ضد قولها، وطعنهم في عرضها، ليس بأمر عظيم في جانب ما أراد الله من هدى الناس لرسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبأن الله تعالى لا يصرِفُه عن إنفاذ مراده ما عسى أن يَعْرِضَ من ضُرٍّ في ذلك لبعض عبيده؛ لأن مراعاة المصالح العامة تُقدَّم على مراعاة المصالح الخاصة.

## القصة الثالثة: قصة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

### تمهيد:

تعرض الآيات حلقة من قصة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ تكشف عما في عقيدة الشرك من نكارة وكذب وضلال، وتتجلى في القصة رحمة الله بإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين ذرية صالحة تَنْسِلُ أمة كبيرة، فيها الأنبياء وفيها الصالحون.

والرحمة تذكر في هذه القصة؛ لأنها السمة البارزة في جو السورة؛ ولأنها هبة الله التي تُعَوِّضُ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عن أهله ودياره، وتؤنسه في وحدته واعتزاله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ
مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ
أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ
أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي
يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ
كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ
رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا
﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

### التفسير الإجمالي:

واذكر أيها الرسول في القرآنِ المنزّلِ عليك خبرَ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، إنه كان كثيرَ الصِّدقِ والتصديقِ بآيات الله؛ إذ قال لأبيه آزر: يا أبتِ؛ لِمَ تعبدُ من دون الله

صنمًا لا يَسمع دعاءَك إنْ دعوتَه، ولا يُبصر عبادتَك إن عبدتَه، ولا يكشفُ عنك ضرًّا، ولا يجلبُ لك نفعًا، يا أبتِ، إني قد جاءني من العِلمِ عن طريق الوحي ما لم يأتِك، فاتّبعْني أرشدْك إلى طريقٍ مستقيم، يا أبت، لا تعبدِ الشيطانَ بطاعتك له، إنّ الشيطانَ كان للرحمن عاصيًا، حيث أمرَه بالسجود لآدمَ فلم يسجد، يا أبت، إني أخافُ أن يصيبَك عذابٌ من الرحمن إن مِتَّ على كفرِك، فتكون قرينًا له في العذابِ لمُوالاتِك له، قال آزرُ لابنه إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أمُعرِضٌ أنت عن أصنامي التي أعبدُها يا إبراهيم؟! لئن لم تكفَّ عن سبِّ أصنامي لأرمينَّك بالحجارة، وفارقْني زمانًا طويلًا فلا تكلّمْني، ولا تجتمعْ معي، قال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: سلامٌ عليك مني، لا ينالُك ما تكرهُ مني، سأطلبُ لك المغفرةَ من ربي والهدايةَ، إنه سبحانه كان كثيرَ اللطف بي، وأفارقُكم وأفارقُ معبوداتِكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعو ربّي وحده لا أشركُ به شيئًا، عسى أن لا يمنعَني إذا دعوتُه، فأكونَ بدعائه شَقيًّا، فلما تركَهم وترَك آلهتَهم التي يعبدونها من دون الله، عوّضْناه عن فَقْدِ أهلِه؛ فوهبْنا له ابنَه إسحاق، ووهبنا له حفيدَه يعقوبَ، وكلّ واحدٍ منهما جعلناه نبيًّا، وأعطيناهم من رحمتِنا مع النبوةِ خيرًا كثيرًا، وجعلنا لهم ثناءً حسنًا مستمرًّا على ألسنةِ العباد(١).

## الأسباب الجالبة للرحمة في القصة:

١- الدعوة إلى الله؛ حيث دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه؛ فتدرَّج معه بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٦-٣٠٨.

عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضارِّ، ثم حذَّره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون بذلك وليًّا للشيطان.

٢- الصبر في مقام الدعوة إلى الله، على ما ناله من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي.

٣- اعتزال الشرك وأهله (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ)؛ عندما أيِسَ ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون.

٤- مفارقة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لوطنه ومألفه وأهله وقومه؛ إرضاءً لله وإيثارًا لما عنده.

٥- اعتزاز إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بربوبية الله إياه (وَأَدْعُوا رَبِّي)، والتشريف لنفسه بذلك.

### مظاهر الرحمة في القصة:

١- ذكر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رحمة؛ لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم؛ مما يكون سببًا في رحمة المتأسين بهم.

٢- جمع الله لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بين الصديقية والنبوة (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)، فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به؛ وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثِّر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل.

٣- وهب الله إبراهيم وبنيه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من رحمته العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون، كما قال: (وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا).

٤- الثناء الحسن (وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)؛ لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملء الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين.

### ۞ القصة الرابعة: موسى وإسماعيل وإدريس عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

**تمهيد:**

ظلُّ الرحمة هو الذي يظلِّل جو السورة كله؛ فتذكر السورة رحمة الله بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مساعدته بإرسال أخيه هارون معه حين طلب إلى الله أن يعينه به {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} [القصص: ٣٤].

كما تثبت السورة أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عند ربه مرضيًّا، والرضى سمة من سمات هذه السورة البارزة في جوها وهي شبيهة بسمة الرحمة، وبينهما قرابة.

كما تصف السورة إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه كان صدِّيقًا نبيًّا، وتسجل له أن الله رفعه مكانًا عليًّا، فأعلى قدره ورفع ذكره، وهذا من مظاهر رحمته به؛ حتى يتأسى به المؤمنون؛ فتصيبهم رحمة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥١- ٥٨].

## التفسير الإجمالي:

«واذكر -أيها الرسول- في القرآنِ المنزَّلِ عليك خبرَ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، إنه كان مختارًا مصطفًى، وكان رسولًا نبيًّا، وناديناه من جانبِ الجبل الأيمنِ بالنسبة لموقعِ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقرّبناه مناجيًا؛ حيث أسمعَه اللهُ كلامَه، وأعطيناه من رحمتِنا وإنعامِنا عليه أخاه هارونَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نبيًّا؛ استجابةً لدعائه حين سأل ربَّه ذلك، واذكر -أيها الرسولُ- في القرآنِ المنزَّلِ عليك خبرَ إسماعيلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، إنه كان صادقَ الوعد، لا يَعِدُ وعدًا إلا وفَّى به، وكان رسولًا نبيًّا، وكان يأمرُ أهلَه بإقامةِ الصلاة، وبإعطاءِ الزكاة، وكان عند ربِّه مرضيًّا.

واذكر -أيها الرسولُ- في القرآنِ المنزّلِ عليك خبرَ إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، إنه كان كثيرَ الصدقِ والتصديقِ بآيات ربه، وكان نبيًّا من أنبياء الله، ورفعْنا ذكرَه بما أعطيناه من النبوةِ، فكان عاليَ المنزلة، أولئك المذكورون في هذه السورةِ ابتداءً بزكريا، وختامًا بإدريسَ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ هم الذين أنعمَ اللهُ عليهم بالنبوةِ من أبناءِ آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن أبناءِ من حملنا في السفينةِ مع نوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن

أبناءِ إبراهيمَ وأبناءِ يعقوبَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وممن وفَّقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياءَ، كانوا إذا سمعوا آياتِ الله تُقرأُ سجدوا لله باكين من خشيته»[1].

## الأسباب الجالبة للرحمة في القصص:

١- **الإخلاص:** كان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مخلصًا لله تعالى، في جميع أعماله، وأقواله، ونيّاته؛ لذا استخلصه ربه لرسالته، وخص موسى بعنوان (المُخْلص) على الوجهين؛ لأن ذلك مزيته، فإنه أخلص في الدعوة إلى الله، فاستخفَّ بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة الأكفاءكما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

٢- **النصح:** من أكبر فضائل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإحسانه، ونصحه لأخيه هارون، أنه سأل ربه أن يشركه في أمره، وأن يجعله رسولًا مثله.

٣- **صدق في الوعد:** من شمائل إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه صادق الوعد مع الله ومع العباد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾.

٤- **دعوة الأهل للإحسان للمعبود والإحسان إلى العبيد:** كان إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مقيمًا لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصًا أخص الناس عنده وهم أهله؛ لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٦-٣٠٨.

٥- **التصديق التام**، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح.

٦- **الخضوع لآيات الله**، والخشوع لها، والبكاء عند سماعها، والإنابة والسجود لله تعالى.

## مظاهر رحمة الله في القصص:

١- جمع الله لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل، وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، والنبوة تقتضي إيحاء الله إليه، وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق؛ وكانت رسالته رحمة على بني إسرائيل؛ حيث حرَّرهم من عبودية فرعون، ورحمة للأمة المحمدية باقتدائها بسيرة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الدعوة إلى الله ومقاومة الطغاة.

٢- خص الله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها؛ وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجيًا لله تعالى، وبهذا اخْتُصّ من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن.

٣- وهب الله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من رحمته أخاه هارون نبيًّا؛ فساعده على أمره، وأعانه عليه.

٤- جمع الله لإسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بين الرسالة والنبوة التي هي أكبر مِنَنِ الله على عبده، وأهلها من الطبقة العليا من الخلق؛ وبذلك تحقَّقت الرحمة به، وبأهله وبقومه؛ حيث أرشدهم إلى ما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة، وقدَّم للأمة الإسلامية نموذجًا عظيمًا في دعوة أهل البيت وحملهم على الحق.

٥- ارتضى الله إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هو عن ربه.

٦- جمع الله لإدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين الصدِّيقيَّة، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته.

٧- رفع الله لإدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.

٨- ذِكْر الله لهؤلاء الأنبياء والرسل؛ لبيان اجتهادهم في عبادتهم لربهم، ودعوتهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم؛ ليقتدي بهم الدعاة إلى الله، ولبيان نماذج من الذين أنعم الله عليهم، الذين ندعو في كل صلاة أن يهدينا طريقهم، بقولنا: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ الفاتحة: ٦-٧].

## ❁ المطلب الثاني: أسماء الله الحسنى في السورة، ودلالتها على مقصد السورة:

### تمهيد:

الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رَوح الإيمان وأصله وغايته، فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته؛ ازداد إيمانه، وقوي يقينه.

وقد اشتملت سورة مريم عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ على التعريف بالمعبود تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى، والصفات العليا إليها، ومدارها عليها؛ وهي: **(الله، والرَّب، والرَّحمنُ)**، وبُنيت السورة على الألوهية، والربوبية، والرحمة، وآثارها على العباد مؤمنهم وكافرهم.

وقد تضمنت السورة أيضًا إثبات النبوات التي هي أعظم وأجل مظاهر رحمته، والتي بها حياة القلوب والأرواح من جهات عديدة:

١- من اسم **«الرب»**. فلا يليق به أن يترك عباده سُدًى هَمَلًا لا يُعرِّفُهم ما ينفعهم في معاشهم، ومعادهم، وما يضرهم فيهما، فهذا هَضْمٌ للربوبية، ونسبة الرب -تعالى- إلى ما لا يليق به، وما قَدَرَه حق قدرِه مَن نسبه إليه، وقد ورد اسم الرب (٢٣) مرةً في سيقات مختلفة بدلالات مختلفة.

٢- من اسم **«الله»**، وهو المألوه المعبود، ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام، وقد ورد اسم الله (٩) مراتٍ في سياقات مختلفة بدلالات متنوعة.

٣- من اسمه «**الرحمن**»، فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم.

فمن أعْطى اسم «**الرحمن**» حقَّه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظّ البهائم والدواب. وأدرك منه أُولُو الألباب أمرًا وراء ذلك[(١)].

وقد ذكر اسم الرحمن (١٦) مرةً في السورة.

وقد ذكرت السورة جمعًا من الأنبياء والرسل الذين هم رحمة للعالمين؛ وهم: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وإسماعيل، وإدريس -عليهم الصلاة والسلام-.

### وسوف أتناول هذه الأسماء في السطور التالية:

#### أولًا: الرحمن جَلَّ وَعَلَا:

الرحمن الرحيم: «اسمان دالان على أنه -تعالى- ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمَّت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه الذي دفع هذه الرحمة، وأباها بتكذيبه للخبر، وتوليه عن الأمر، فلا يلومن إلا نفسه»[(٢)].

(١) مدارج السالكين، ١/ ٨، بتصرف. هذا الكلام عند حديث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سورة الفاتحة، وبالتأمل في سورة مريم؛ نجد أنها اشتركت مع الفاتحة في هذه المزايا.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي: ص٢٠٠، ٢٠٣.

والله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبَّرهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور، ولا تيسرت الأشياء، ولا حصلت المقاصد، وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك، وأجل وأعلى. وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافر والخير المتكاثر. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦] (١).

## تكرار اسم الرحمن في السورة:

تكرر اسم (الرحمن) ١٦ مرةً، والرحمة ٤ مراتٍ، وهذا الاسم يفيض بالرحمة ومعانيها في جو السورة وظلالها.

## ومن نماذج ذكر اسم الرحمن في السورة ودلالته على مقصد السورة:

### النموذج الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: ١٨].

استعاذت مريم عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ باسم الله الرحمن دون سواه؛ ليرحم ضعفها فينجيها من هذا الطارق الغريب عليها، والمعنى: إن كنتَ تتَّقي الله، فستنتهي بتعوُّذي منك(٢)؛ لأنها علمت أنه لا تؤثر الاستعاذة إلا في التقي، فالتقيّ ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، ويرجع عن دَفْعَةِ الشهوة ونزغ الشيطان.

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص٦٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي: ٣/ ١٢٤.

«واختارت عَلَيْهَا السَّلَامُ اسم: ﴿بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ١٨] ولم تقل: «بالله» أي: بالذي يرحمني فيحفظني منك[١]؛ ربي الذي رحمته عامة لجميع عباده في الدنيا والآخرة، وله بنا خصوصية في إسباغ الرحمة وإتمام النعمة؛ فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه، وهذه العفة -خصوصًا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع- من أفضل الأعمال؛ ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]؛ فأعاضها الله بعفتها ولدًا من آيات الله، ورسولًا من رسله»[٢].

## النموذج الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦].

خَصَّت مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ اسم الرحمن هنا؛ لما يتضمنه من الرحمة الواسعة التي تحفظها من أذى قومها، وتخرجها من حزنها، فقولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: الذي عمت رحمته فأدخلني فيها على ضعفي، وخصني بما رأيت من الخوارق، «أمرها الله رحمة منه بها أن تنذر الصوم؛ لئلا تشرع مع البشر

(١) لطائف الإشارات: ٢/ ٤٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٤٩١.

المتهمين لها في الكلام لمعنيين؛ أحدهما: أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم. وفيه أن السكوت عن السفيه واجب»[(١)].

## النموذج الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

جاء الاختيار لاسم الرحمن في هذا الموضع؛ تنبيهًا على أن الشيطان يأمر بما ينافي الرحمة، ولبيان شناعة عصيان مَن هو عظيم الرحمة الذي يمهل من عصاه ولا يهمله، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٤] المنعم بجميع النعم القادر على سلبها، ولم يقل: للجبار؛ لئلا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز عنه[(٢)].

و قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن؛ إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته»[(٣)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختير وصف الرحمن من بين صفات الله تعالى؛ تنبيهًا على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله؛ فتُفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يُتَّبع»[(٤)].

(١) تفسير الكشاف: ٣/ ١٤.
(٢) نظم الدرر: ١٢/ ٢٠٦.
(٣) تفسير السعدي: ٤٩٤.
(٤) التحرير والتنوير: ١٦/ ١١٧.

### النموذج الرابع:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٥].

اختار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المقام اسمَ الرحمن؛ ترحُّمًا بوالده، وترغيبًا له في نيل رحمة الرحمن الذي يقبل توبة عباده، وللإشارة إلى أن رحمة الله لا تمنع تعذيب من عصاه بعد الإعذار، ولبيان أن من صفته الرحمة الواسعة ألا يعذب أحدًا إلا لعظم جريرته، حتى لم يجد ذلك المعذَّب مدخلًا لنفسه إلى رحمة الرحمن لتنجيه من العذاب، «وفي قوله (إني أخاف)، نسب الخوف إلى نفسه دون أبيه كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه.

وقال: (يمسَّك) فذكر لفظ المس الذي هو ألطف من غيره، ثم نكَّر العذاب، ثم ذكر الرحمن، ولم يقل الجبار ولا القهار، فأي خطاب ألطف وألين من هذا»[1]، وهذا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ رحمة وشفقة على والده أن يناله عذاب الله.

وعبر عَلَيْهِ السَّلَامُ «عن الجلالة بوصف الرحمن؛ للإشارة إلى أن حلول العذاب ممن شأنه أن يرحم إنما يكون؛ لفظاعة جرمه إلى حد أن يحرمه مِنْ رحمته مَنْ شأنه سعة الرحمة»[2].

### النموذج الخامس:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ١١٨.

«في إضافة الآيات إلى اسمه (ٱلرَّحۡمَٰنُ)؛ دلالة على أن آياته من رحمته بعباده وإحسانه إليهم؛ حيث هداهم بها إلى الحق، وبصَّرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلَّمهم من الجهالة»(١).

## النموذج السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: ٦١].

نسب تعالى هذا الوعد الأكيد إلى اسمه الرحمن؛ إشارة إلى أن وعده بذلك مظهر من مظاهر رحمته بهم؛ ليستعدوا لها بالإيمان والعمل الصالح، قال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتعرض لعنوان الرحمة؛ للإيذان بأن وعده وإنجازه لكمال سعة رحمته»(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أضاف الجنة إلى اسمه (ٱلرَّحۡمَٰنُ)؛ لأن فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسماها تعالى رحمته، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وأيضًا ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية ببقاء رحمته، التي هي أثرها وموجبها»(٣).

## النموذج السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾

(١) تفسير السعدي: ٤٩٦.
(٢) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٧٢.
(٣) تفسير السعدي: ٤٩٦.

[مريم: ٦٩].

غمرتهم بالشكر والإيمان، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر صفة الرحمن هنا؛ لتفظيع عتوهم؛ لأن شديد الرحمة بالخلق حقيق بالشكر له والإحسان لا بالكفر به والطغيان»(١).

ذكر اسم الرحمن في قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾؛ لقصد إغاظتهم بذكر اسم أنكروه(٢)؛ فحرموا من رحمته وإنعامه.

**ثانيًا: الرب جَلَّ وَعَلَا:**

الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، «وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة»(٣).

وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يُؤَلَّه لأجلها، وهي صفات الكمال كلها، والمحامد كلها له، والفضل كله، والإحسان كله، وإنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعًا عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم؛ خلقًا ورزقًا وتدبيرًا وإحياءً وإماتةً، وهم يشكرونه على ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده.

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٤٨.

(٢) المرجع السابق: ١٦/ ١٧٠.

(٣) تفسير السعدي: ٥/ ٦٢٠.

### تكرار الاسم في السورة:

تكرر اسم (الرب) في السورة (٢٣) مرةً، وهو يأتي في سياق التربية، والإنعام والإحسان، والإفضال.

### نماذج دلالة اسم (الرب) في السورة على مقصدها:

١- قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤]، الذي يصل منه إليك كل ما ينفعك ويصلحك، ويرقيك في القرب منه، «والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميرها؛ لتشريفها وتأكيدِ التعليل وتكميلِ التسلية»[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ٢١]، التعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميرها؛ لتشريفها وتسليتِها والإشعارِ بعِلة الحُكم؛ فإن هبةَ الغلامِ لها من أحكام تربيتها[(٢)]، وإحسانه إليها وفضله الكبير عليها.

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٦]، مرضيًّا عندك قولًا وفعلًا، وتوسيطُ ربِّ بين مفعولي اجعَلْ؛ للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه[(٣)]، ولعلمه اليقيني أن ما يأتي من الرب فيه من الكمال الإنساني ما يليق بعطاء الكريم المنان.

٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: ٤]، التعرض في الموضعين لوصفِ

(١) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٦١.
(٢) المرجع السابق: ٥/ ٢٦٠.
(٣) المرجع السابق: ٥/ ٢٥٥.

الربوبيةِ المُنبِئةِ عن إضافة ما فيه صلاحُ المربوبِ، مع الإضافة إلى ضميره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا سيما توسيطُه بين كان وخبرها؛ لتحريك سلسلةِ الإجابةِ بالمبالغة في التضرّع؛ ولذلك قيل إذا أراد العبدُ أن يُستجابَ له دعاؤُه فليدعُ الله -تعالى- بما يناسبه من أسمائه وصفاتِه[١].

٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨]، خاطب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه سبحانه، ولم يخاطب الملك المنادي؛ طرحًا للوسائط، ومبالغة في التضرع، وجِدًّا في التبتل[٢]، وأنسًا في خطاب الرب الحبيب لأوليائه، فالحبيب يحب التسرية بالحديث مع محبوبه.

٦- قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤]، عبَّر عن الله بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه؛ للإشارة إلى انفراده من بينهم بعبادة الله -تعالى- فهو ربه وحده من بينهم، فالإضافة هنا تفيد معنى القصر الإضافي، مع ما تتضمنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إياه والتشريف لنفسه بذلك[٣].

### ثالثًا: الله جَلَّ وَعَلَا:

الله عَزَّوَجَلَّ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وهذا

(١) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٥٤.
(٢) تفسير الآلوسي: ٢/ ١٤٣.
(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٢٢.

الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله -تعالى- هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلا[1].

تكرار الاسم في السورة:

تكرر اسم الله في السورة (٩) مراتٍ، وهو يرد في سياق التأليه.

**من نماذج دلالة اسم (الله) في السورة على مقصد السورة:**

**١- النموذج الأول:**

**قَالَ تَعَالَى:** ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٣٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، ردًّا على من غلا من بعده في شأنه»[2]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى، وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه»[3].

وهكذا يعلن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إلهًا كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة، ويعلن أن الله جعله نبيًّا، لا ولدًا ولا شريكًا[4].

(١) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/ ٢٤٩.
(٢) تفسير القرطبي، للقرطبي: ١١/ ١٠٢.
(٣) تفسير ابن كثير، لابن كثير: ٥/ ٢٢٨.
(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤/ ٢٣٠٨.

### دلالة اسم (الله) في الآية على مقصد السورة:

أنطق الله عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أول ما نطق بذلك؛ ليبطل قول من ادّعى فيه الربوبية، رحمة بقومه حتى لا يقعوا في الضلال، ويحرموا من رحمة الله الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة؛ لذا قدَّم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إقراره بالعبودية بإلهام الله إياه؛ لعِلْم الله بما سوف يتقوَّله الغالون فيه مستقبلًا.

### ٢- النموذج الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾ [مريم:٣٦].

أي: ومما أمر عيسى به قومه وهو في مَهْدِهِ، أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه، وأمرهم بعبادته(١)، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني(٢).

دلالة اسم (الله) في الآية على مقصد السورة:

عرَّفهم عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بطريق رحمة الله؛ وهي العبودية عن طريق ربوبيته سبحانه، فالعبودية سبيل لتحصيل رحمة الله في الدنيا بإنعامه وإحسانه على عباده المؤمنين، وفي الآخرة بدخول رحمته؛ وهي جنته التي أعدها لعباده المؤمنين.

### ٣- النموذج الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

(١) تفسير ابن كثير، لابن كثير: ٥/ ٢٢٨.

(٢) تفسير السعدي، للسعدي: ٤٩٣.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريّة آدم، ومن ذرّية من حملنا مع نوح في الفُلك، ومن ذرّية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرّية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته، وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرَّق -تعالى ذكره- أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدُّ نوح»[1].

## دلالة اسم(الله) في الآية على مقصد السورة:

معلوم أن الرحمة إنعام من الله جَلَّ وَعَلَا على عباده، فذكر سبحانه في هذه السورة الذين أنعم الله عليهم نعمة لا تلحق، ومنة لا تسبق؛ حيث أنعم عليهم بنعمة الهداية إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وهذه النعمة رحمة خاصة بهم، ونعمة الاصطفاء بالرسالة والوحي، وهي نعمة خاصة بهم، ورحمة بأقوامهم؛ لأنهم بينوا لهم الطريق الموصِلَة إلى رحمة الله في الدنيا، ورحمة الله في الآخرة؛ وهي إدخال المؤمنين منهم الجنة، ورحمة بالأمة المحمدية؛ حيث أمرنا الله أن نتأسى بهم، وندعو الله أن يوفقنا إلى طريقهم التي سلكوها؛ وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم.

(١) تفسير الطبري، لأبي جعفر الطبري، ت. شاكر: ١٨/ ٢١٤.

«وتلك وإن كانت نعمًا وهداية واجتباء، فقد زادت هذه الآية بإسناد تلك العطايا إلى الله تعالى؛ تشريفًا لها، فكان ذلك التشريف هو الجزاء عليها، إذ لا أزيد من المجازى عليه إلا تشريفه»(١).

فتأمل براعة النَّظْم، وكيف أن اسم (الله) في هذه الآية دل على مقصدها؛ وهو شمول رحمته سبحانه لعباده، وخَصَّ هنا النبيين؛ لأنهم رحمة على الخلق كما قال تعالى في حق نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

## النموذج الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ٧٦﴾ [مريم: ٧٦]، لما ذكر عَزَّوَجَلَّ ضلالة الكفَرة، وارتباكهم في الافتخار بنعم الدنيا، وعماهم عن الطريق المستقيم؛ عقَّب ذلك بذكر نعمته على المؤمنين في أنهم يزيدهم هُدًى في الارتباط إلى الأعمال الصالحة، والمعرفة بالدلائل الواضحة وزيادة العلم دأبًا(٢).

## دلالة اسم (الله) في الآية على مقصد السورة:

ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه من فضله ورحمته أنه يزيد المهتدين هداية، والتي تشمل توفيقهم إلى العِلْم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقًا في العلم والإيمان والعمل الصالح؛ زاده الله منه، وسهَّله عليه، ويسَّره له، ووهب له أمورًا أُخَرَ لا تدخل تحت كسبه.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ١٣٣.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٣٠.

## ❁ المطلب الثالث: الفرائد في السورة ودلالتها على مقصد السورة.

اتسمت الفريدة القرآنية باتساقها الكامل مع المعنى المُـراد منها في السياق القرآني بما لا تغني عنها لفظة أخرى، والمتأمل في الفرائد الواردة في سورة مريم يلحظ اتساق الفرائد فيها مع معنى الرحمة بصورة دقيقة ورائقة.

وفي هذا المطلب نوضِّح دلالة الفريدة القرآنية في السورة لمقصدها، فسبحان من اتسقت مباني كلامه، وانتظمت معانيه بصورة معجزة.

### تعريف الفرائد في اللغة والاصطلاح:

**لغة:** فرد: الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة. . . والفريد: الدر إذا نظم وفصل بينه بغيره(١).

والفريد، بغير هاء، الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، والفريدة وهي الشذر من فضة كاللؤلؤة(٢).

**اصطلاحًا:** «إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حَبِّ العِقْدِ، تدل على عِظَمِ فصاحته، وقوَّة عارضته، وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعَزَّ على الفصحاء غرامتها»(٣)؛ أي خسارتها وفقدانها.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٥٠٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣٣٢.

(٣) تحرير التحبير، ابن أبى الأصبع، تحقيق د. حفني شرف ص٥٧٨، ٥٧٦، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٣م.

## ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي:

نستخلص أن الفريدة: هي الشيء النفيس الذي لا نظير له، سواء أكان ماديًّا كالذهب والدر، أو معنويًّا كالكلام الفريد المفصَّل.

وإلى الحديث عن الفرائد ودلالتها على مقصد السورة:

## ١) الْمَخَاضُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ٢٣﴾ [مريم: ٢٣].

### معنى المخاض:

### مخض:

الميم والخاء والضاد: أصل صحيح يدل على اضطراب شيء في وعاء مائع، والماخض: الحامل إذا ضربها الطَّلْق، وهذا أيضًا على معنى التشبيه؛ كأن الذي في جوفها شيء مائع يتمخض[(١)].

والمخاض: «الطَّلْقُ وشدة الولادة وأوجاعها»[(٢)].

### دلالة الفريدة على مقصد السورة:

عبَّر ربُّنا بهذا اللفظ الذي لم يغنِ غيرُه غناءه؛ لأنه المناسب والموائم لحركة الطفل من خوض ودوران ولفٍّ من أجل الخروج من بطن أمه، وهذا يبدأ عندما تنتهي مدة أجله داخل الرحم.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/ ٣٠٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٤/ ١٠.

وكان المخاضُ رحمة من الله لمريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؛ حيث اضطرها وألجأها المخاض بقوَّته وسيطرته عليها إلى جذع النخلة؛ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، ولعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألهمها ذلك؛ ليريها من آياته ما يسكِّن روعتها، فتطعم منه الرطب الذي هو خُرْسَةُ النفساء أي طعامها، وغاية في نفعها.

**٢) حَتْمًا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: ٧١].

الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه، فسمى به الموجب، أى: كان ورودهم واجبًا على الله، أوجبه على نفسه وقضى به، وعزم على أن لا يكون غيره[(١)].

**دلالة الفريدة على مقصد السورة:**

في الآية إدماج ببشارة المتقين الذين وسعتهم رحمة الله، في أثناء وعيد المشركين الذين حُرِموا منها بسبب شركهم، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعنى: وما منكم أحد ممن نزع من كل شيعة وغيره إلا وارد جهنم، حتمًا قضاه الله، فلا مبدل لكلماته، أي فلا تحسبوا أن تنفعكم شفاعتهم، أو تمنعكم عزة شيعكم، أو تلقون التبعة على سادتكم وعظماء أهل ضلالكم، أو يكونون فداء عنكم من النار.

وليس الخطاب في قوله﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: ٧١] لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتداء كلام، بحيث يقتضي أن المؤمنين

(١) تفسير الكشاف: ٣/ ٣٥.

يردون النار مع الكافرين، ثم ينجون من عذابها؛ لأن هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة؛ ولأن فضل الله على المؤمنين بالجنة، وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقًا واحدًا، كيف وقد صدر الكلام بقوله:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ [مريم: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، وهو صريح في اختلاف حشر الفريقين[(١)].

**٣) ضِدًّا:**

قال تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم: ٨٢].

الضِّدُّ: العون. يقال من أضدادكم: أى أعوانكم، وكأن العون سُمّي ضدًّا؛ لأنه يضاد عدوك، وينافيه بإعانته لك عليه[(٢)].

أي سيكفر المشركون بعبادة الأصنام، ويدخلون في الإسلام، ويكونون ضدًّا على الأصنام، يهدمون هياكلها ويلعنونها[(٣)].

**دلالة الفريدة على مقصد السورة:**

١- فيها بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم سيد المتقين، وخير من وسعته رحمة ربه؛ بأنَّ دينه سيظهر على دين الكفر.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ١٤٩، ١٥١.

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري: ٣/ ٤١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ١٦٤.

٢- لما تعلق المشركون بغير الله تعالى؛ وكَلَهُمُ الله إلى ما تعلَّقوا به، وخذلهم من جهة ما تعلقوا به، وفاتهم تحصيل مقصودهم من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بتعلقهم بغيره، والتفاتهم إلى سواه، فلا على نصيبهم من رحمة الله حصلوا، ولا إلى ما أمَّلوه ممن تعلقوا به وصلوا.

### ٤) وَفْدًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

**وفد:**

يقال: وَفَدَ القومُ تَفِدُ وِفَادَةً، وهم وَفْدٌ ووُفُودٌ، وهم الذين يقدمون على الملوك مستنجزين الحوائج(١).

### دلالة الفريدة على مقصد السورة:

كرامة المتقين عند وفودهم على الرحمن يوم القيامة، وخذلان المجرمين وحرمانهم من رحمة الله.

يخبر - تعالى - عن تفاوت الفريقين؛ المتقين، والمجرمين، وأن المتقين له - باتقاء الشرك والبدع والمعاصي - يحشرهم إلى موقف القيامة مُكرَمين، مُبجَّلين، مُعظَّمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودًا عليه، والوافد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء، وحسن الظن بالوافد عليه ما هو معلوم، فالمتقون يفِدون على الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع

(١) مفردات غريب القرآن للأصفهاني: ٨٧٧.

مراضيه، وإن الله قد عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله، فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله.

وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم وردًا، أي: عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات؛ سَوْقُهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة؛ وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم[1].

**٥) إِدًّا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم: ٨٩]، أي: أمرًا منكرًا يقع فيه جلبة[2].

والإدُّ بالكسر والفتح: العظيمُ المنكر، والإدّةُ: الشدةُ، وأدَني الأمرُ وآدَني: أثقلني وعظُم عليّ، أي فعلتم أمرًا منكرًا شديدًا لا يقادَر قدره[3].

**دلالة الفريدة على مقصد السورة:**

في الفريدة من التشنيع والتفظيع؛ لما افتروا على الله الكذب بقولهم﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾[مريم: ٨٨]، وهذا من أسباب حرمانهم من رحمة الرحمن التي وسِعَتْ رحمته كل شيء.

(١) تفسير السعدي: ٥٠٠.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٦٩.

(٣) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٨٢.

٦) رِكْزًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: ٩٨].

الرِّكْزُ: الصَّوْتُ الخَفِيُّ.

وهو كناية عن اضمحلالهم، كنّى باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم(١).

لما ذكروا بالعناد والمكابرة، أتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك؛ بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها الله لجبروتها وتعنتها؛ لتكون لهم قياسًا ومثلًا؛ لأن في التعريض بالوعيد نذارة لهم، وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم(٢).

تصوير سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للهلاك:

«وهو مشهد يبدؤك بالرجَّة المدمِّرَة، ثم يغمرك بالصمت العميق. وكأنما يأخذ بك إلى وادي الرَّدى، ويقفك على مصارع القرون، وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحدُّه البصر، يسبح خيالك مع الشخوص التي كانت تدب وتتحرك، والحياة التي كانت تنبض وتمرح. والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلع. . ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثُمُ، وإذا الجُثَثُ والأشلاء والبِلى والدّمار، لا نأمة(٣)، لا حس، لا حركة، لا صوت. . ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ؟﴾ انظر وتلفَّت ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ تسمَّع وأنصت.

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٧٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) نأم: النون والهمزة والميم أصيل يدل على صوت (مقاييس اللغة: ٥/ ٣٧٧).

ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت»[1].

### ٧) اشْتَعَلَ:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ [مريم: ٤].

**شعل: الشَّعْلُ:** التهاب النّار، يُقالُ: شُعْلَةٌ من النّار، وقد أَشْعَلْتُهَا، والشَّعِيلَةُ: الفتيلة إذا كانت مُشْتَعِلَةً، وقيل:

بياض يَشْتَعِلُ، قال تعالى: (وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا) [مريم: ٤]؛ تشبيهًا بِالاشْتِعَالِ من حيث اللّونُ[2].

شبه الشيب بشُوُاظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشَّعر، وفشوّه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. وأخرج الشيب مميزًا ولم يُضِف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا[3].

«ويشكو إليه اشتعال الرأس شيبًا، والتعبير المصور يجعل الشيب كأنه نار تشتعل، ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد. ووَهَنُ العَظْمِ، واشتعال الرأس شيبًا، كلاهما كناية عن

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٢٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٧.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٣/ ٤.

الشيخوخة، وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه، وهو يعرض عليه حاله ورجاءه»[1].

وشبَّه عموم الشيب شعرَ رأسِه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامعٍ في جسم أسود، تشبيهًا مُرَكَّبًا تمثيليًّا قابلًا لاعتبار التفريق في التشبيه، وهو أبدع أنواع المُرَكَّبِ. فشبَّه الشَّعْر الأسود بفحم، والشَّعْرَ الأبيض بنار على طريق التمثيلية المكنية، ورمز إلى الأمرين بفِعْل اشتعل.

والخبران من قوله: (وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا) مستعملان مجازًا في لازم الإخبار، وهو الاسترحام لحاله»[2].

### دلالة الفريدة على مقصد السورة:

أخبر بحاله؛ طلبًا لرحمة ربه سبحانه، ووَصَفَ من حاله ما تشتد معه الحاجة إلى الولد حالًا ومآلًا، فكان اشتعال الرأس بالشيب حالًا مقتضيًا للاستعانة بالولد.

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٠٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ٦٤.

### المطلب الرابع: دلالة الآيات الكونية على مقصد السورة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣].

تأمَّل انتفاضة الكون وغضبه وغيرته من المساس بقداسة الذات العلية، وما ذاك إلا لتضمنه شتم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والتنقص به، ونسبة ما يمنع كمال ربوبيته وقدرته وغناه إليه.

وتكرير اسم الرحمن في هذه الآيات أربع مرات؛ إيماء إلى أن وصف الرحمن الثابت لله، والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله، وإن أنكروا لفظه، ينافي ادعاء الولد له؛ لأن الرحمن وصفٌ يدل على عموم الرحمة وتكثُّرِها، ومعنى ذلك: أنها شاملة لكل موجود، فذلك يقتضي أن كل موجود مفتقر إلى رحمة الله تعالى، ولا يتقوم ذلك إلا بتحقق العبودية فيه؛ لأنه لو كان بعض الموجودات ابنًا لله تعالى لاستغنى عن رحمته؛ لأنه يكون بالبنوة مساويًا له في الإلهية المقتضية الغنى المطلق، ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه بر الابن به ورحمته له، وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة.

فذكر هذا الوصف عند قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، وقوله: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾؛ تسجيلًا لغباوتهم، وذكَره عند قوله: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾؛ إيماء إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله، وذكره عند قوله:

(إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا)؛ استدلال على احتياج جميع الموجودات إليه، وإقرارها له بملكه إياها[1].

## موضع الدلالة في الآيات:

١- التعبير باسم الرحمن في هذه الآيات إشارة إلى صبره تعالى على أذاهم وإمهاله لهم؛ رحمة بهم، لعلهم يرجعون ويتوبون عن هذا القول الشنيع. روى البخاري بسنده عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم»[2].

أن السموات والأرض تعبد ربها، وتسبح له بما يليق به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ ولذلك لما سمعت بمقولة الكفار في حق معبودهم؛ انتفضت انتفاضة الغاضب؛ غيرةً عليه سبحانه، وكأنها تقول أَمَرنا بتسبيحه فسبَّحانه حق التسبيح، وأمرت أنت بعبادته؛ فأعرضت استكبارًا، فلا تنتظر أن يعمَّك برحمته الواسعة، وإن شملتك برزقه ومعافته إياك، وإمهاله لك.

.....

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٧٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب: باب الصبر على الأذى، (٦٠٩٩).

## المطلب الخامس : دلالة سنة الله في ثواب المؤمنين وجزاء المجرمين على مقصد السورة :

أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه سيجعل للمؤمنين محبة منه تعالى، ومحبة في قلوب عباده المؤمنين؛ فيحب بعضهم بعضًا، فيتراحمون، ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم فى قلوب بعض من المحبة كرامة منه ورحمة بهم؛ لتفردهم في عبادته سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦]، والمعنى: سيُحْدِثُ لهم في القلوب مودَّة، ويزرعها لهم فيها، من غير تودُّدٍ منهم، ولا تعرُّضٍ للأسباب التي توجب الودَّ ويكتسب بها الناس مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بِمَبَرَّةٍ أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصًا منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظامًا لهم وإجلالًا لمكانهم[(١)].

وللتعبير بالود في هذا الجو نداوة رخيَّة تمس القلوب، وروح رضى يلمس النفوس، وهو ود يشيع في الملأ الأعلى، ثم يفيض على الأرض والناس؛ فيمتلىء به الكون كله ويفيض[(٢)].

وفي هذا المعنى روى مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ - قَالَ - فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ** »[(٣)].

(١) تفسير الكشاف للزمخشري: ٣/ ٤٧.

(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٢١.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده، (٢٦٣٧).

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه أهلك كثيرًا من المجرمين الذين أعرضوا عن طريق الحق، وآذوا أهل الحق بصنوف الإيذاء؛ ليشفي قلوب قوم مؤمنين، ويذهب غَيْظَ قلوبهم، وتطهيرًا للأرض منهم ومن خبثهم وفسادهم؛ رحمةً بجميع المخلوقات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: ٩٨].

المعنى أهلكناهم بالكلية، واستأصلناهم؛ بحيث لا يُرى منهم أحدٌ، ولا يسمع منهم صوتٌ خفيّ[1]، ولم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عِظَةٌ للمتعظين، ونذارة للمجرمين في كل عصر وحين، وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم.

.....

(١) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٨٤.

## المطلب السادس: دلالة سنة الله في إمهال المجرمين على مقصد السورة:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤].

أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، إنما نُؤَخِّرُهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله[(١)]، لا يتقدَّمون عنه ولا يتأخَّرون، نُمْهِلُهُمْ ونحلم عليهم مدة؛ ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجع فيهم ذلك؛ أخذناهم أخذ عزيز مقتدر[(٢)]؛ فلا يضيق صدرُك بهم فإنهم مُمهَلون إلى أجل قريب، وكل شيء من أعمالهم محسوب عليهم ومعدود.

وهذا الإمهال رحمة منه بهم؛ لأن رحمته سبقت غضبه.

(١) تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٦٢

(٢) تفسير السعدي: ٥٠٠.

## ❁ المطلب السابع: دلالة مشاهد القيامة على مقصد السورة (كرامة المؤمنين وإهانة الكافرين):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧ ﴾ [مريم: ٨٥-٨٧].

يخبر – تعالى – عن تفاوت الفريقين؛ المتَّقينَ، والمجرمين، وأن المتقين له – باتقاء الشرك والبدع والمعاصي – يحشرهم إلى موقف القيامة مكرَّمين، مبجَّلين معظَّمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنّان، وفودًا إليه، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدَّموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله، فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله.

وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة؛ وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم، يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يُستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم[1].

عن عليّ، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾، قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقًا، ولكنهم يؤتون بِنُوقٍ لم

(١) تفسير السعدي: ٥٠٠، باختصار يسير.

يرُ الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة[١].

وذِكْر المتقين بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته، وخصهم برضوانه وكرامته، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم[٢].

أما الذين حُرِموا رحمته في الآخرة بإعراضهم عن طريق العبودية في الدنيا؛ فيساقون إلى جنهم عطاشًا، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾، يقول: عطاشًا.

ويحرمون من الشفاعة؛ لأنهم لم يأتوا الله بإيمان، أما المؤمنون فيشفعون في بعضهم بعضًا، عن ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ، قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾، قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء[٣].

فتأمَّل رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكرامته وحسن الاستقبال لأهل الإيمان، أما المجرمون فمسوقون إلى جهنم وِردًا كما تُساقُ القطعان.

وبهذا أكون قد انتهيت من البحث.

أَسْأَلُ اللهَ الْقَبُولَ الْحَسَنَ.

.....

(١) تفسير الطبري: ١٨/ ٢٥٤.

(٢) تفسير الكشاف: ٣/ ٤٢.

(٣) المرجع السابق: ١٨/ ٢٥٦.

# الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد. .

**فبعد هذا التطواف والبحث في موضوع (أفانين السورة القرآنية في دلالتها على مقصدها)؛ نخرج بالنتائج الآتية:**

١- إن مقصد السورة، هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها.

٢- تعدد طرق الكشف عن مقصد السورة؛ والتي من أهمها: اسم السورة، فضائل السورة، التأمل في أوائل السورة وأواخرها، إمعان النظر في الكلمات المكرَّرة، النظرة الشاملة للسورة من أولها إلى آخرها.

٣- تتنوع أفانين السورة في دلالتها على المقصد؛ والتي منها: القصص، أسماء الله الحسنى، الفرائد القرآنية، الآيات الكونية، سنن الله في الأنفس، مشاهد القيامة، وغير ذلك مما تتميَّز به كل سورة.

٤- ظهر من خلال التأمل والتدبر في سورة مريم أن لها أفانين اختصت بها تدل على مقصدها.

٥- اتضح أن كل كلمة، وكل جملة، وكل قصة، وكل فريدة، وكل سُنَّة كونية، وكل اسم من أسماء الله الحسنى في السورة له دلالة على مقصدها.

## التوصيات :

**أوصي الباحثين بما يلي:**

١) ضرورة الاهتمام بالبحث في أفانين السور القرآنية ودلالتها في تحقيق مقاصدها؛ لأن وراء ذلك عِلْمٌ غزير يجب أن يُبحَثَ ويُنْشَرَ.

٢) البحث في أفانين القرآن في تحقيق مقاصده.

# المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، المحقق: صدقي محمد جميل، د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٣. بدائع الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، د. ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، د. ت.

٤. البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق: محمد شعباني، د.ط، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدَّيْنَوَرِيّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المحقق: إبراهيم شمس الدين، د. ط، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، د. ت.

٦. تحرير التحبير، ابن أبى الأصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، تحقيق: د. حفني شرف، د. ط، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٣م.

٧. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٨. تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٩. تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، المحقق: عبيد بن علي العبيد، د. ط، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

١٤. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد

البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٦. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

١٧. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، د. ط، بيروت، د. ن، د. ت.

١٨. سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الطبعة الثانية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٩. عِلْمُ مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، المطيري، عبد المحسن بن زبن المطيري، د. ط، الكويت، جامعة الكويت، د. ت.

٢٠. في ظلال القرآن، قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، ط (١٧)، بيروت - القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٢. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، د. ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ت.

٢٣. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٤. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، المحقق: إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

٢٥. مباحث في إعجاز القرآن، مسلم، مصطفى، الطبعة الثالثة، دمشق، دار القلم، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الاولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٧. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، الطبعة الثالثة، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ١٤٣٦هـ.

٢٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٩. المدخل إلى التفسير الموضوعي، سعيد، عبد الستار فتح الله، الطبعة الثانية، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د. ت.

٣٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣١. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَّ»، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، بيروت، دار القلم، ١٤١٢هـ.

٣٥. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٦. المواهب الربانية من الآيات القرآنية، السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، جمعها: عبد الرحمن سمير الماضي، د. ط، د. ن، د. ت.

٣٧. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، دراز، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدَّم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، د. ط، بيروت، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

## المحتوى

**مستخلص البحث ............................................ ١٤١**

**المقدمة ................................................... ١٤٣**

**المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث وأهم طرق الكشف ......... ١٤٩**

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث: أفانين. ............. ١٤٩

المطلب الثاني: أهم الطرق العملية للكشف عن مقصد السورة ............ ١٥١

**المبحث الثاني: سورة مريم مقدمات وطرق الكشف عن مقصدها.......... ١٦٠**

تمهيد ...................................................... ١٦٠

المطلب الأول: مقدمات عن السورة..................................... ١٦٢

المطلب الثاني:طرق الكشف عن مقصد سورة مريم ........................ ١٦٦

**المبحث الثالث: أفانين سورة مريم في بيان مقصدها ...................... ١٧٠**

تمهيد ...................................................... ١٧٠

المطلب الأول: القصص في سورة مريم ودلالتها على مقصد السورة ....... ١٧٢

المطلب الثاني: أسماء الله الحسنى في السورة ........................... ١٩٣

المطلب الثالث: الفرائد في السورة ودلالتها على مقصد السورة............ ٢٠٧

المطلب الرابع: دلالة الآيات الكونية على مقصد السورة ................ ٢١٦

المطلب الخامس: دلالة سنة الله في ثواب المؤمنين وجزاء المجرمين....... ٢١٨

المطلب السادس: دلالة سنة الله في إمهال المجرمين.......................... ٢٢٠

المطلب السابع: دلالة مشاهد القيامة على مقصد السورة (كرامة المؤمنين وإهانة الكافرين) ..... ٢٢١
**الخاتمة ..... ٢٢٣**
التوصيات ..... ٢٢٤
المصادر والمراجع ..... ٢٢٥
المحتوى ..... ٢٣١